الأعلام الجغرافية - دراسة فى تكونها وفلسفتها*

للأستاذ الدكتور يحيى جبر

مدخل :

عاش الإنسان دهرا على الأرض دون أن تكون به حاجة إلى تسمية المواقع التى مر بها أو عاش فيها ، وما نراه اضطر إلى ذلك إلا بعد ان استقر فى أماكن بعينها ، واعتاد السير فى مسالك معلومة ، لأن تلك المواقع كانت قد أصبحت جزءا من معرفته ، ومعرفة قومه ، فأطلقوا عليها أسماء هى بمنزلة العلامات ، من شأنها أن تميز موقعا عن موقع ، وتستحضره فى مخيلة السامع ... وهكذا المعارف كلها .. تراكمات مكتسبة تولدها الحاجة على نحو ما نجده فى قول الجاحظ من أن « البيان ضرورى للاجتماع ، وهو الذى جعله الله تعالى سببا فيما بينهم ، ومعبرا عن حقائق حاجاتهم ، ومعرفا لمواضع سد الخلة ورفع الشبهة ومداواة الحيرة ... » (الحيوان - طبعة البابى الحلبى ١٣٥٧ هـ - تحقيق عبد السلام هارون ١/٤٤ ، ٤٥) .

والحديث عن الأعلام الجغرافية لا يختلف عن الحديث عن أعلام الناس وغيرهم ، ذلك أن العلم - هو بمعنى العلامة ، وكلاهما يقومان دليلا على المعلوم - لا يكون إلا بالتحديد عن قصد ، وبنية مسبقة ، فما أكثر ما يمر به الإنسان من مواقع ، ويراه من نجوم ... ولكن قليلا منها اختص بعلاقة مميزة بالإنسان . ليجد نفسه مضطرا إلى تمييزه بعلامة (عَلَم) أو وسم (اسم) ، والاسم إن لم تكن معنيا بمدلوله ومسماه فإن معرفتك وجهلك به يستويان ، ككثير من الناس وهم جميعا يعرفون بأسمائهم ، تمر بهم لا يعنونك ، ولا تجد

---

* ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة من مؤتمر المجمع بتاريخ غرة ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ . الموافق الأول من أبريل (نيسان) ١٩٩٥ م

فى نفسك حاجة لمعرفة أسمائهم ، تماما على نحو ما يظهر فى قول الشاعر :

ونحن الثـــريا وجـــوزاؤها

ونحن الســـمـــاكـــان والمرزم

وأنتم كـــواكب مـــخـــسـولة

ترى فى الســـمـــاء ولا تعلم

إذ نراه جعل قومه كأعلام النجوم ، وجعل الآخرين كسائر النجوم التى نرى فى السماء دون أن يعرفها الناس بأسمائها ، لأنها ليست من نجـوم الأخـذ (المنازل) ولا هى من نجـوم الهداية .

وأســمـــاء الأعـلام تواضع واصطلاح ، والأكثر فيهـا أن تكـون مرتجلة أو أعجمية لا مساغ فيـها للاشتقاق (ياقوت الحموى - مـعـجم البلدان بيـروت ١٩٥٥ ، ١ / ١٥) ومنها كثير نقل على جهة التخصيص وقصر الدلالة ، ولكن الواضع لم يفـعل ذلك دون فلسفة توجه التسمية ، بل كان ينطلق من عـلاقـة بين الاسم والمسمى على نحـو مـا سنوضحه فيما بعد (راجع بحثنا حول العلاقة بين الاصطلاح ومدلوله ودورها فى إشاعـتـه وانتشاره ، مجلة التعريب ، العدد الثامن) وهى مما يختلف من أمة لأخرى ، ومن زمان لآخر ، وذلك لارتباطها بمستوى التمدن ومنهج التفكير . وفى هذا المعنى يقول جرجى زيدان (التمدن الإسلامى - القاهرة ١٩٥٨ ٢/٢٦٦) :

« إن لأسمـاء الأعلام تاريخا طويلا فى علم العُمـران ، وهى تختلف صورة ومعنى باختلاف العصور ، وباختلاف الأمم ، فكل أمة تختلف التسمية فيها عما سواها ، وتختلف فى الأمة الواحدة باختلاف أدوار تمدنها » .

وتدخل دراسة الأسماء الجغرافية ، والأعلام منها بوجه خاص فى ما يعرف بعلم الـ Onomastic ، أى فلسفة الإنسان فى تسمية مـا حـوله ، وفى علم الـ Toponomy الذى يبحث فى الأعلام الجغرافية والمكانية (انظر يوسف توتى - المعجم الجغرافى - المقدمة) .

ونستعرض فيما يلى أبرز مذاهب العرب فى تسمية الأعلام الجغرافية ، انطلاقا من بضعة معاجم ، ومن معرفتنا الشخصية .

ابرز مذاهب العرب فى تسمية الاعلام الجغرافية :

أولا - تسمية الموقع باسم أول من سكنه ، أو نسب إليه :

وهذا منهج قديم نجد له جذورا فى التوراة (انظر مقدمة كتابنا معجم البلدان الأردنية والفلسطينية - عمان ١٩٩١ ، ص ٣) وعليه

درج كثير من علماء العربية فى تخريج أسماء بعض المواقع ، يقول جرجى زيدان فى هذا الصدد (المرجع السابق ٢/ ٤٠) : « وقد بالغ العرب فى الرجوع إلى الأجداد حتى رجعوا بأسماء المدن إلى أسماء بعض أجدادهم ، والغالب أن ينتهى النسب بأحد آباء التوراة ، فإذا سئل أحدهم مثلا عن الأندلس من بناها قال : بناها أندلس بن يافث بن نوح .. » انظر الماوردى - الأحكام السلطانية ١٩٤

ولو استعرضنا معجم البلدان لياقوت الحموى لوجدناه يعيد أسماء كثير من المواقع والبلدان إلى أسماءٍ من بنوها أو نزلوها ابتداء . **ومن قبيل ذلك :**

- **الهان :** مخلاف باليمين سمى بألهانَ بنِ مالك بن زيد من قحطان (١/٢٤٨) .

- **تبالة :** التى تقع فى الطرف الشرقى من عسير جنوب السعودية ، سميت بتبالة بنت مدين ابن إبراهيم فى ما ذهب إليه ابن الكلبى ، وبتبالة بن مكنف بن عمليق وَفقا لياقوت (٢/ ١٠) .

وقد فعل الهمدانى مثل ذلك ، فنجران (على الحدود السعودية اليمينية) مسماه بنجران ابن زيدان بن سبأ ابن عبد شمس (الأكليل فى أخبار اليمين وأنساب حمير . الكتاب العاشر - ط السلفية ، القاهرة ١٣٦٨ ١/١٤) .

- **والحبش :** درب بالبصرة ، سمى بحبش كان عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، أسكنهم هناك (ياقوت - المشترك ١٢٠) .

- **وثور :** جبل بمكة سمى بثور بن عبد مناة ، أول من سكنه (ابن بنين ، اتفاق المبانى وافتراق المعانى - تحقيقنا ، دار عمار - عمان ١٩٨٥ ص ٨٢) .

- **وقائم بن أحمدينى :** بلدة بمنطقة جازان، سميت بالرجل على ما ترى (العقيلى ١٨٣) .

- **والقرافة :** اسم مقبرة بالفسطاط ، وهما قرافتان متصلتان : الصغرى ، وبها قبر الإمام الشافعى - والكبيرة .. وكانتا فى أول الأمر خطتين لقبيلة من اليمن هم بنو قرافة من المعافر بن يعفر ، ثم صارتا مقبرتين (المشترك ٣٤١) .

- **قلت :** طريف أن المصريين راحوا يستخدمون كلمة القرافة بمعنى المقبرة مطلقا ، فانتقلت بذلك من الخصوص إلى العموم .

- **حضرموت** : وقيل فى تسميتها غير قول ، منها إنها سميت بحضرموت بن يقطن بن عابر بن شالخ (ياقوت ٢٩٢/٣ وجواد على (المفصل ١٢٤/٢) .

- **أبو حامد** : علماً على جبل بصقلية كان يعرف باسم Erixe ، ويعرف الآن باسم San Joliano (أحمد زكى - قاموس الجغرافية القديمة . القاهرة ١٣١٧ ص ١٩) .

ثانيا - تسمية العلم بصفته :

وهذا من باب إقامة الصفة مقام الموصوف . وهو من أبرز الموجهات التى تقف وراء تخصيص بعض الأسماء أعلاما لمواقع بعينها ، وذلك أن الموقع يشتهر بين الناس بصفة لا يلبث حتى يعرف بها ، فتستقر فى الأذهان علماً عليه . **ومن أمثلة ذلك :**

- **المزمزمة** : علما على بئر فى موريتانيا ، كان أحدهم قد صب فيها ماء من بئر زمزم (مقلد ١٦٧) فكأن الأصل : البئر المزمزة ، فشاعت الصفة حتي ساغ الاكتفاء بها عن المركب الوصفى .

- **الجماء** : علماً على ثلاث عيون بالمدينة المنورة (المشترك ١٠٦) والمعنى : التى تجم كلما نُزِفت ، أى يجتمع فيها الماء من جديد .

- **السوانى** : جميع سانية ، وهى قرية فى الشُّقيق من تهامة عسير (العقيلى ١٢١) .

وأعرف بلدة قرب طرابلس الغرب تحل الاسم نفسه ، والأصل أن السانية هى الناقة التى يسنى بها الماء ثم توسع القوم فى دلالة الكلمة حتى أطلقت على الآبار التى يسنى ماؤها ، ثم ازدادوا فأطلقوها على المزارع التى تروى بها ، وأعقب ذلك إطلاق اللفظ على الأحياء والقرى التى تكتنف ما سبق ، حتى بالرغم من أن العُمران اكتسح المزارع وأحالها إلى مبان وعمارات .

- **المنشار** : اسم مكان كثير الرؤوس الجبلية بليبيا ، ولذا سمى به (الزاوى ٣٢٥) وهو كما ترى ، مسمى بصفته .

- **السوداء** : بلدة أعرفها فى الجنوب السعودى تقع على قمة سوداء فى جبال عسير تطل على رجال ألمع فى تهامة ، وهى إلى جانب ذلك كثيرة الشجر ، ومن الناس من يسمى سلسلة جبل السراة من الطائف جنوبا باسم ساق الغراب لدقتها وسوادها ، على التشبيه .

ثالثا - قصر الدلالة :

وهو أنْ يُطلق على الموقع اسم جنسه علماً عليه دون سواه ، وذلك كثير فى كلام العرب ، وهو من باب تخصيص العام ، مفرداً كان ذلك أم جمعا ، معرفة كان أم نكرة . ونستعرض فى ما يلى طائفة من الأمثلة توضح ما سلف .

- **البيداء :** علماً على أرض ملساء بين مكة والمدينة (ياقوت - البلدان ٥٢٣/١) والبيداء أصلا هى الصحراء .

- **الرهوة :** علماً على عدة أماكن ، منها رهوة التى تقع إلى الشمال من درب بنى شعبة من منطقة جازان السعودية (العقيلى ١١١) ، ورهوة تنومة من بلاد بنى شهر السعودية أقمت بها عامين ، والرهوة فى اللغة من الأضداد إذ تأتى بمعنى ما ارتفع من الأرض . وما انخفض (ابن بنين ٢١٦) .

- **الجبل :** علما على ثمانية مواضع استناداً إلى ما ذكره ياقوت فى المشترك (ص ٩٤) والجبل فى اللغة معروف .

- **الرملة :** علماً على خمسة مواقع استناداً إلى ما ذكره ياقوت فى المشترك (ص ٢١٠) والرملة فى اللغة معروفة ... ومن ذلك رملة فلسطين ، وهى أشهرها على الإطلاق .

وقد أحصينا أكثر من خمسة وسبعين علماً من جنس ما تقدم ، تنتشر مسمياتها فى أرجاءٍ مختلفة من الوطن العربى .

رابعا - التسمية بالمصادر المائية :

كان للماء أثر بالغ فى توجيه نمط الحياة العربية قديما ، ومن هنا لم يكن غريبا أن نجد كثيرا من الأماكن سميت بأحد مصادر المياه التى تكون فيها ، **ومن ذلك :**

- **الأحساء :** الإقليم السعودى المعروف وغيره ، مفرداً ، مثل : حسى وحاسى (مسعود مثلا) فى الجزائر و جمعا ، على نحو ما نجده فى قول زهير :

كأن سحيله فى كل فجر
على أحساء ب عؤودٍ دعاء

(المشترك ١٤) والحسى فى اللغة هو الماء تنشفه الأرض من الرمل ، فإذا صار إلى صلابة أمسكته ، فتحفر عنه الناس نحواً من متر وتستخرجه .

- **الآبيار :** مدينة فى الشرق الليبى . وهى مسماه بجمع «بئر» الماء .

- **الحمّة** : وبالتصغير " الحميمة علماً على أربعة عشر موضعاً (المشترك ١٤٦) ، والحمة هى العين تسيل بماء حار .

- **رأس العين** : علماً على مواقع كثيرة ، قديمة (المشترك ١٩٧)

- **النّهى** : علماً على عدة مواقع (المشترك ٤٢٦) والنهى والتنهية والتنهاة هى منتهى المسيل إلى الرياض ونحوها .

- **العين ، العيون ، العوينات** : أعلاماً على بلدان ومواقع فى الإمارات العربية والسودان وليبيا وعُمان وموريتانيا .

خامسا : التسمية بنبات أو حيوان أو غير ذلك مما يكثر وجوده فى الموقع :

وربما تم ذلك بالحيوان أو جزئه أو نسبة إليهما ، وبالنبات وموضعه ، وأمثلة ذلك كثيرة جداً ، ومنها :

- **الأفاعى** : علما على واد قرب القلزم (السويس) من أرض مصر (ياقوت ٢٦٦/١) .

- **الخنزيرة** : علماً على بلدة بجازان جنوب غرب السعودية ، قرب قرية الجعافرة (العقيلى ٩٨) .

- **الذئبة** : علماً على موضع ذكره ياقوت (المشترك ١٩٥) .

- **كراع الناقة** : علماً على واد فى موريتانية فيه شجر كثير (مقلد ١٥٤) وأراه سمى به لجامع الشبه فى طولهما .

- **الجوش** : وهو الصدر من الدابة ، ويطلق علماً على بلدة فى سفح جبل نفوسة (الغربي) بليبيا ، قال الزاوى (ص ١٠٨) كأنها مأخوذة من الجوش بمعنى الصدر لأنها واقعة فى سفح الجبل . وقد سمعت أهل تهامة رجال المع يسمون أسافل سفوح الجبل أصداراً وصُدُراً

- **القمرى** : علماً على بلدة بجازان (العقيلى ١٩١) .

- ومن ذلك فى فلسطين حمامة ، وفى موريتانية مدينة نواكشوط، إذ يرى بعضهم أن الأصل فى اسمها «نواق الشط» جمع ناقة ، والشط هو الشاطىء ، شاطىء الأطلسى .

- ومن التسمية بالنبات ، الأثلة ، واحدة الأثل ، وهو من شجر الحمض ، منابته الرمال ، وورقه دقيق كالإبر ، وقد استخدم

هذا الاسم علماً على عدة مواقع ذكرها ياقوت (البلدان ١/ ٩١ والعقيلى ١/ ٥١) ، وربما سموا بمصغره ، الأيثل . كقول قنيلة بنت النضر أو أختُه :

ياراكباً إن الأثيل مظنة

من صبح خامسة وأنت موفق .

- **والسنطة** : شجرة الشوك المعروف كالطلح والقرظ ، وقد أطلقت علماً على قرية بمصر (المشترك ٢٥٧) .

وغير ذلك كثيرة ، والعلل التى تكمن وراء إطلاق الأسماء أعلاماً على المواقع الجغرافية كثيرة جدا إلى درجة يتعذر حصرها وإحصاؤها ، ولذلك نكتفى بما تقدم ، لننتقل إلى البحث فى الأعلام الجغرافية من حيث تركيبها .

ابنية الاعلام الجغرافية :

يمكن تصنيف الأعلام الجغرافية من حيث أبنيتها وتراكيبها إلى عدة أقسام ، وذلك باعتبارات مختلفة ، تماما كما هى الحال فى أعلام الناس (انظر ابن هشام قطر الندا وبل الصدا ص ١٣٣ وما بعدها) إذ أن ثمة ما يعرف بعلَمَ الشخص ، كزيد وعمرو ، ويناظرهما فى المواقع والبلدان مكة والقاهرة ، وذؤالة للذئب ، ويناظرها فى الأعلام الجغرافية تَحُوط وكَحْل علمين على السنة الجدبة ، ومَحْوة علما على ريح الشمال .

والأعلام : من باب آخر ، إما مفردة أو مركبة ، ومن الأول فى الناس زيد ، وفى البلدان ونحوها صنعاء ، أما الثانى ، فهو على أربعة أوجه هى :

١ - مركب إضافى :

مثل دارة جلجل ، وبيت المقدس ، ووادى الآجال جنوب ليبيا ، وسوق السبت فى السعودية والمغرب ، ودير دبوان فى فلسطين وكفر الشيخ فى مصر ، وخشم القرية فى السودان ، وهجرة زهير ، ووادى حلى وهما فى السعودية .

٢ - مركب وصفى مثل :

المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، والواحات الداخلة والخارجة والربع الخالى ، والصحراء الكبرى والنعام الوارد ، والنسر الواقع من نجوم الأخذ ، التى هى منازل القمر .

٣ - مركب إسنادى مثل :

سر من رأى ، وحضرموت .

٤ - مركب مزجى مثل

بعلبك : وبنغازى ، وجدّايم (جود دائم) .. بليبيا .

ويمكن تقسيم الأعلام الجغرافية إلى مثل ما تقسم له أسماء الناس ، فمنها ما هو اسم ، ومنها ما هو لقب وكنية ، وكل ذلك على تشبيه المكان بالإنسان والحيوان ، إذا نجد من المواقع ما سمى بالمركب مبدوءاً بالأب والأم مثل : أبو المظ والمظة بلدة قرب بيشة فى السعودية) ورمان البر ، ينور ولايعقد وأبو النبع نبع الماء ، أوجمع نبعة ، وهو الشجر الذى تصنع منه القسى وهما علمان على موضعين يقعان قريبا من بيش بتهامة عسير (العقيلى ٥٣) .

والمكان أبو كذا ، أى ذو كذا ، تماما كقولهم ذو الخَلَصَة ، علما على صنم كان بتبالة، وذات عرق ، وما بدىء بالأم ، بمعنى ذات أيضا ، كأم الأرانب علما على بلدة بليبيا ، وأم القرى علما على مكة المكرمة ، وأم عبيد علما على الأرض الخلاء ، وأم مرزم علما على ريح الشمال ، وأم أوعال علما على هضبة باليمامة ، (ياقوت البلدان ٢٤٩/١) وأم الطيور علما على منطقة بعينها فى موريتانية (مقلد١٥٨) وأم قيس علما على بلد فى الأردن ، وأم درمان فى السودان معروفة.

وينسجم مع ما تقدم تسميتهم المواقع والبلدان بابن كذا أو بنت وبنات كذا ، ومن ذلك « ابن غراب » علما على موقع قرب مسلّاته بليبيا ، وبنات نعش علما على مجموعة نجمية تظهر فى نصف الكرة الشمالى. وابن مزنة علماً على القمر . كقول ابن أحمر :

كأن ابن مزنتها جانحًا
فسيط لدى الأفق من خنصر .

أما صرف الألقاب أعلاما على المواقع الجغرافية فكثير جداً ، ومن ذلك الفيحاء والشهباء علمين على دمشق وحلب على التوالى ، والمضنونة علما على بئر زمزم ، وغير ذلك . ونعتقد أن هذه الألقاب صفات فى الأصل ، وأنَّ ما كان مستخدما فى الأصل هو المركب الوصفى ، ولما شاع استخدامه طويلا ساغ الاجتزاء بالصفة عن المركب فكان .

أعلام فى مبنى الفعل :

من الملاحظ أن نسبة الأعلام الجغرافية التى جاءت على وزن الفعل أكبر من نسبة ذلك فى أعلام الناس . وقد اجتهدنا فى البحث عن علة توجه ذلك فلم نظفر بما يقنع ، **ومن أمثلة ذلك :**

- **تجيب :** علما على خطة بمصر ، سميت باسم قبيلة تجيب من كندة ، أول من سكنها (ياقوت ٢ / ١٦) .
- **تدمر (تتمر ، لعلاقة بالتمر فيما نرى)** سميت بتدمر بنت حسان بن أذينة بن السميدع (ياقوت ١٧/١) قلت : وتسمية البنت بهذا الاسم يشبه التسمية العبرية «تامارا» بمعنى الحلوة كالتمر .

- **تبشع** : بلد بالحجاز لفهم (ياقوت ١٣/٢)

قلت : واسم واد فى عسير .

- **تدوم** : موضع ذكره لبيد (ياقوت ١٩/٢) .

- **تروق** : اسم هضبة (ياقوت ٢٨/٢) .

- **تريم وشبام** : علمين على موضعين بحضرموت (ياقوت ٢٨/٢) .

- **تذكر** : اسم موضع (ياقوت ٢٧/٢) .

- **تصلت** : اسم موضع وماء لبنى إنسان من جشم . (ياقوت ٣٢/٢) .

- **تضارع** : تضرع ، تعكر ، تعمر ، تغوث ، تقوع ، تقيد ، تكتم وغيرها مواضع ذكرها (ياقوت ٢/ ٥٠ - ٦٨) .

ويمكن تخريج هذه الأسماء بكونها جملا فعلية وقعت صفات لمسميات بعينها ثم شاعت حتى استغنى بالجملة الفعلية (الفعل) عن الموصوف .

التفسير الأسطورى لبعض الأعلام :

يقف المطالع فى كتب البلدان كمعجم ياقوت الحموى على كثير من الأعلام الجغرافية التى خصت بأسمائها لعلاقة لا سبيل إلى الأخذ بها ، وتعود إلى حكايات خرافية ، لاسميا تلك التى تقوم الأدلة على تسميتها لعلاقات صحيحة مختلفة .

فمن المعروف أن مدينة نابلس الفلسطينية سميت بهذا الاسم نسبة إلى أسرة فلافيا نيا بولس ، وهى نظير مدينة نابولى الايطالية، ولكن الحموى يخرج تسميتها بطريقة مختلفة، محللا الاسم إلى مركب إضافى « ناب لس » مفسرا «لس» بأنها حية كانت تسكنها ،وهو نابها. (ياقوت/نابلس) .

كما نعتقد أن الحكاية التى ساقها ياقوت (أجـــأ/سلمى - ٩٤/١ ، ٩٧) فى تعليل تسمية جبلى طىء هى من قبيل ما تقدم ، فقد ذهب إلى «أجأ» وهو علم مرتجل لاسم رجل سمى به الجبل ، ويجوز أن يكون منقولا ، ومعناه الفرار كما حكاه ابن الأعرابى ، يقال : أجا الرجل : إذا فر ، وسلمى اسم امراة ، وكان من خبرها أن رجلا من العماليق يقال له أجأ بن عبد الحى عشق امراة من قومه يقال لها سلمى ، وكانت لها حاضنة ويقال لها العوجاء، وكانا يجتمعان فى منزلها حتى نذر بهما أخوة سلمى ، وهم الغميم والمضل وفدك وفائد والحدثان ، وزوجها ، فخافت سلمى فهربت هى وأجا والعوجاء وتبعهم زوجها وإخوتها ، فلحقوا سلمى على الجبل المسمى سلمى فقتلوها هناك فسموا المكان بها ، ولحقوا أجا

بالجبل المسمى بأجا ، فقتلوه فسمى به ، وأنفوا أن يرجعوا إلى قومهم ، فسار كل واحد إلى مكان ، فأقام به فسمى ذلك المكان باسمه .

وشبيه بذلك تسمية وثنى أساف ونائلة ، والنجوم قلاص النجم والحويجزين (الفرقدان) وقلاص النجم على التشبيه بقلاص الإبل ، وحضرموت (جواد علي ١/١٢٤) .

ويبدو أن الجغرافيين العرب ، كانوا يرون أنفسهم ملزمين بتفسير الأسماء ، ولعلهم كانوا يرون فى تسمية الأعلام الجغرافية بمن سكنها أو ملكها مخرجا سهلا فأكثروا من ذلك ، وربما تكلفوا غيره . جاء فى تعليل تسمية تباله (ياقوت ٢/ ١٠) إنها «سميت بتبالة بن مكنف من بنى عمليق ، وزعم الكلبى أنها سميت بتبالة بنت مدين بن إبراهيم . ولو تكلف متكلف تخرج معانى كل الأشياء من اللغة العربية لساغ أن يقول : تبالة من التبل ، وهو الحقد ... » فتبالة ابن فى رأى ، وبنت فى رأى آخر ، وأن شئت فهى من التبل ؟؟

مصادر الأعلام الجغرافية :

١ - الأصل العربى :

تعرف معظم البلدان والمواقع بأسماء عربية خالصة ، سواء أكانت تسميتها وضعا وابتداء ، أم كانت نقلا من أسماء مواقع فى الجزيرة العربية . فقد أطلق المسلمون العرب على الأماكن التى دخلوها بعد الإسلام أسماء ها ، ومنها ما أسموه باسم موقع أو بلد مما عرفوه فى جزيرة العرب ، ذلك أن من شأن الشعوب أن تكرر فى أسماء الأعلام سواء فى ذلك المواقع والبلدان وأعلام البشر ، وأكثر ما يكون ذلك تعلقا بالمسمى به . جاء فى (المشترك ١٥) «فاتفاق الأحَصّ وشبيب متجدد والأخص شبيب بحلب عجب ولا أبعد أن تكون قبائل ربيعة انتقلت من نجد والشام فسموا هذه بتلك على وجه التعلل والتشوق إلى أوطانهم وقد فعلوا ذلك فى نجران ، ودومة ، الجندل ، وغيرهما ، ولما انتقل بنو هشام إلى الأندلس سموا بلاده بأسماء بلاد الشام » وانظر أيضا ص ٤١٦ . والمطالع فى الأطلس العربى يقفُ على كثير من الأعلام الجغرافية المتفقة هنا وهناك .

٢ - الأصول الأعجمية :

ونعنى بذلك الأعلام الجغرافية التى تنتمى للغات غير العربية ، ومن هذه الأعلام ما يقع فى الجزيرة العربية ، ولكنه مسمى باسمه

لعلاقة بالفرس أو بالروم أو بغيرهم . فكلمة «بيشة» (علما على مدينة تقع فى الجنوب السعودى) تعود لأصل فارسى يعنى حائط النخل ! «وزنجبار» هى بر الزنج العربية ، ولكنها مركبة وفقا للقاعدة الفارسية فى تقديم المضاف إليه على المضاف ، ومن الأعلام رومانى كالإسكندرية (المشترك ١٦ موصفا) والإسكندروية ، وطرابلس ، فى لبنان وليبيا ، ونابلس وقيسارية فى فلسطين .

ومنها يونانى كقورينا ودرنة فى ليبيا ، وكوستى فى السودان ، وغير ذلك .

٣ - الأصول المحلية - إن صح التعبير :

ونعنى بها الأعلام التى تنتسب للغات السكان الأصليين قبل امتزاجهم بالمسلمين العرب ، كما هى الحال فى كثير من الأعلام الجغرافية فى المغرب العربى ، التى تعود للغات التماشق والفلانية والشلحية والقبائلية وغيرها من لغات البربر ، وقد مثل ذلك فى أسماء بعض البلدان والمواقع فى مصر ، لا سيما التى تبدأ بشبين وميت وشبرا ، وهذه المفردات ترتد بأصلها إلى القبطية والفرعونية . ونظير ذلك أعلام كثيرة تنتشر فى السودان كواو ورمبيك وجوبا ونيمولى وغيرها ، مما يعود إلى مجموعة اللغات النيلية التشادية .

كما يقف المطالع فى أطلس بلاد الشام والعراق على كثير من الأعلام الجغرافية التى تعود أصولها إلى اللهجات العربية العادية (اللغات السامية فى اصطلاح آخر) كأسماء بعض البلدان الفلسطينية مثل : عورتا ، عنبتا ، خربتا التى تحمل الطابع الآرمى السريانى ، وجديتا فى الأردن ولبنان من الفصيلة نفسها ، إضافة إلى بعض المواقع التى تحمل أسماء كردية فى العراق ، أو كنعانية أو عبرانية فى فلسطين وغير ذلك كثير .

* * *

وخلاصة لهذا البحث نستطيع أن نقول : إن الأعلام الجغرافية ، كغيرها من الأعلام ، إنما كانت إنطلاقا من فلسفة وجهت واضعيها وأغرتهم بها ، وهى أنواع شتى من حيث أصولها وأنواعها ، وقد تطورت عبر العصور ، وكثرت حتى صح لدى الإنسان أن يرمز لها بالحروف والأرقام ، وهى تلقى الضوء ساطعا على مذاهب الناس فى تسمية ما حولهم من المواقع والبلدان ، إضافة إلى ما يكشفه بعضها من أوجه التطور الدلالى والاستخدام المجازى للمفردات .

يحيى جبر

رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطينى

المصادر

- مقلد ، محمد يوسف - موريتانيا الحديثة ، بيروت ١٩٦٠

- الزاوى ، الطاهر - معجم البلدان الليبية ، القاهرة ١٩٦٨

- الجاحظ - الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة البابى الحلبى القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .

- زيدان ، جرجى ، تاريخ التمدن الإسلامى القاهرة ١٩٥٨ ، منشورات دار الهلال .

- العقيلى ، المعجم الجغرافى للبلاد السعودية ، مقاطعة جازان . طبعة الرياض ١٩٦٩ج ١ .

- ياقوت - معجم البلدان ، طبعة بيروت ١٩٥٥

- المشترك وضعا والمفترق صقعا ، بعناية فردناندوستنفلد . جوتنجن ١٨٤٦

ابن بنين - سليمان ، اتفاق المبانى وافتراق المعانى - تحقيق د. يحيى جبر ط دار عمار، عمان ١٩٨٥

- جبر ، يحيى ، معجم البلدان الأردنية والفلسطينية ، منظمة التحرير الفلسطينية دار اللوتس ، عمان ١٩٩١

- زكى ، أحمد ، قاموس الجغرافية القديمة . القاهرة ١٣١٧ هـ .

- الهمدانى ، محمد بن الحسين ، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير . الكتاب العاشر المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٦٨ هـ .